من مكتبة الأدب الإسلامي

القصة وأثرها على الطفل المسلم

عرض: أحمد بن عمر الفاهمي

هو عنوان كتاب من القطع المتوسط للأستاذ الفاضل يحيى الحاج يحيى، يقع في واحد وسبعين صفحة، صدر عن دار المجتمع للنشر والتوزيع، تناول فيه المؤلف القصة وتأثيرها المباشر في الطفل المسلم.

ولقد وضع المؤلف كتابه في فصلين، كل فصل يحتوي على عدة محاور، قام بمناقشة كل محور على حدة، ففي الفصل الأول وهو بعنوان «أثر القصص على الأطفال وواقعها».

بيّن المؤلف مدى تأثير القصة في التوجيه والسلوك، وفي هذا الفصل تطرق للحديث عن الأطفال والقصة، وأتى فيه بتوزيع لسنوات العمر بما يتناسب معها من القصص بدءاً بالسنة الثانية حتى الحادية عشرة، وبعد ذلك أبدى ملاحظاته على هذه التقسيمات، ثم قال في نهايتها إن هذه الملاحظات لاتقلل من أهمية التعرف على مراحل النمو عند الأطفال وخصائصها المختلفة كمؤشرات على قدر كبير من الفائدة في مجالات الكتابة للأطفال.

وفي الاتجاهات المعادية واستخدام القصة بيّن المؤلف دور التيارات المعادية وتنبهها لأدب الأطفال ولاسيما في مجال القصة لخطورته في تشكيل القناعات والتصورات في وقت مبكر، فاليهود والنصارى استطاعوا أن يطبعوا عدداً كبيراً من الكتب التي تتحدث عن حياة الأنبياء، بحسب اعتقادهم الخاطئ وتصورهم المنحرف، زد على ذلك جمال الطباعة وبراعة الرسم والتلوين وإتقان الإخراج، والصهيونية قد جعلت نفسها هي المنتصرة دائماً وأساءت للمسلمين وصورت المسلم بأنه متخلف جاهل، ثم عن «واقع القصص وأثرها»: تحدث قائلاً إن الخطورة في كتب الأطفال والقصة جزء كبير منها ليست أمراً سهلاً كما يتصوره بعضنا، فأثر هذا اللون في تشكيل القناعات وتربية الأذواق لايستهان به وأورد مقولة «فرانسوا نيال» في المؤتمر العالمي للكتاب المنعقد في مدينة «نيس» عام ١٩٧١م حيث قال «إن كتاب الأطفال يمكن أن يغير من ذوق العالم بل يستطيع أن يغير العالم ذاته»، ثم استطرد المؤلف قائلاً إن الأسواق مليئة بالقصص والمسرحيات، التي تتناسب مع أطفالنا، وهي بحاجة إلى أن نعيد النظر فيها ونسعى إلى تنقيتها وترشيدها ومن القصص التي شاعت بين الأطفال:

١- قصص الجن.

٢- القصص التاريخي.

٣- الأساطير والموقف السليم منها.

٤- القصص المترجمة.

وقد قام المؤلف بمعالجة تلك القصص وفق التصور الإسلامي، ثم اختتم حديثه في الفصل الأول بضرورة النظر في هذه القصص من خلال المنظور الإسلامي، لنحكم لها أو عليها، مستعينين بما وضعه علماء التربية والنفس من شروط ومقاييس والتي منها أن تكون ذات أثر بالغ في التنشئة والتربية وأن تزود الطفل بمختلف الخبرات الثقافية والوجدانية والنفسية والسلوكية، وأن تكون مفهومة اللفظ والسياق وواضحة الهدف وأن تؤكد لهم انتصار الخير على الشر، والإيمان على الكفر، والأمل على اليأس.

أما الفصل الثاني: فقد كان بعنوان «ماذا يقرأ أطفالنا؟» واستعرض فيه المؤلف عدة نماذج من قصص وحكايات متوافرة بين أيدي أطفالنا، فالنموذج الأول: كان يتحدث عن قصة «نبيل الشجاع» حيث أورد بعضاً منها وأجرى عليها بعض التعديلات، والنموذج الثاني كان عن سلسلة «توم وجيري» وبيّن خطورتها على الطفل المسلم، لكونها تغذي العنف في نفس الطفل، والنموذج الثالث وهو أيضاً عن «توم وجيري» وعنوانه «الجائزة الكبرى» والتي يتعلم الطفل منها تخريب أعمال الآخرين للفوز بالجائزة، والنموذج الرابع كان بعنوان «الحجاب المسحور» وفيها من السحر والشعوذة الشئ الكثير، ثم أتى المؤلف بالبديل عن ذلك والموضوع الرئيسي في البديل هي العقيدة الإسلامية، والنموذج الخامس كان بعنوان «بطوط بطل أعماق البحار» وهي من سلسلة «ميكي وبطوط» التي تعتمد على الحوار والصور الموضحة للفكرة وهي مليئة بالعقائد الوثنية وتعدد الآلهة، وهي مما يتنافى مع عقيدتنا ويجب إبعادها عن الطفل المسلم والنموذج السادس وقد اختاره المؤلف من سلسلة «اليدبيرد» المدعمة بالصور ولقد قال عنها إنها خالية من القيم الدينية والخلقية وفي النموذج السابع اختار المؤلف سلسلة «القصص القرآني في رسوم متحركة» ومؤلفه أساء من حيث أراد الإحسان، وهو أستاذ فلسفة تونسي مقيم في فرنسا وقد رد عليه مفتي تونس ومما تتصف به هذه السلسلة أنها مدعومة بالرسوم للرسل والأنبياء والصحابة مع دمامة تلك الرسوم وسوء منظر الأشخاص فيها مع خلط مؤلفها بين ماجاء في القرآن وبين ماكتبه هو، ثم استعرض المؤلف بعد ذلك البدائل عن كل القصص التي لاتتفق مع التصور الإسلامي، فلقد ذكر عدة كتب للطفل المسلم ومنها «قصص النبيين» لسماحة الشيخ الفاضل أبي الحسن الندوي يحفظه الله وهي تتحدث عن عدد من الأنبياء عليهم السلام، وهي ذات أسلوب ممتع في عرضها وتوجيهها، وقد طبعت بحرف كبير مشكول، ومن هذه الكتب أيضاً «قصص القرآن» لمحمد موفق سليمة و«حياة الخليل إبراهيم عليه السلام» لعبد التواب يوسف، وسلسلة «من القصص الإسلامي» لعلوي طه الصافي في ١٥ جزءاً، وغيرها كثير مما ذكره المؤلف.

اختتم المؤلف كتابه بكلمة وجهها للكبار بأن يقرؤوا للصغار، فيحسنوا الاختيار لهم، ليجنبوهم الثغرات، وليلتمسوا لهم الطريق، وماضل من كان له هاد بصير.